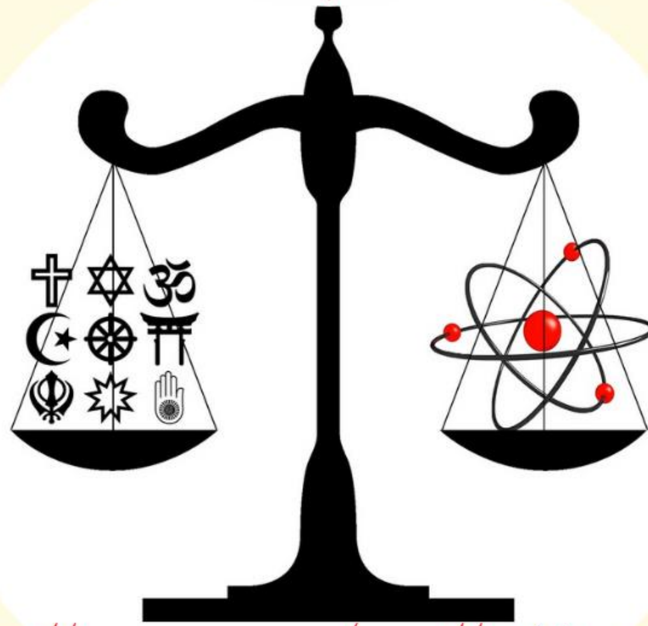




جدلية العلم و الدين

« محاولة في الحوكمة الكونية »

للدكتور محمد بشير الجويني
عالم المستقبليات

جدلية العلم والدين

إهداء

لكل من أمن بالحرية و
أعتنقها دينا و دنيا

إلى العقول النيرة،الثائرة
والطامحة إلى الأفق
اللامتناهي

د.جويني



تنويه

اعلم عزيزي القارئ أنني أحاول التجرد و التنصل إلى درجة "التمرد" على كل أيديولوجيا أو معتقد أو حتى مسلّمات خلال كتابتي لمقالاتي أو بحوثي سواء كان هذا أو سابقيه أو حتى لاحقيه لأعتمد الموضوعية العلمية كسبيل و إن كانت" موضوعية الباحث في حد ذاتها موضوع بحث" إلاّ أنّني أعتنق الحرية في مساري هذا ، فأنا النسر المحلّق فوق أكوان العلوم و المعارف ، أطير فوق سهولها و تلالها و جبالها ، أقتفي أثر ما لذ و طاب من المعلومات و أنقض على فرائسي منها لأبني بها فسيفساء بحوثي منتصبتا شامختا فوق القمم الّشماء .

إن أول ما انفرد به الإنسان عن غيره من جماعات الرئيسيات العليا هو تشكيل الأدوات الحجرية بواسطة تقنيات الشطف. وبعد ظهور الأدوات الحجرية، ترك لنا الإنسان الأول إلى جانب أدواته شواهد على وسطه الفكري، تشير إلى بوادر دينية لا لبس فيها، وتُبين ظهور الدين إلى جانب التكنولوجيا كمؤشرَين أساسيين على ابتداء الحضارة الإنسانية. ولا زلتُ إلى يوم الناس هذا لا أرى في كل نواتج الحضارة الإنسانية إلا استمرارًا لهاتين الخصيصتَين الرئيسيتين للإنسان؛ فكل ارتقاء مادي تكنولوجي قد تسلسل من تلك التقنيات الحجرية الأولى، وكل ارتقاء فكري وروحي قد تسلسل من تلك البوادر الدينية الأولى وتطوَّر عنها.

عن فراس السواح ، من كتابه «دين الإنسان»

ملخص

في حديثنا عن جدلية العلم و الدين ، حديث عن الجدلية التي تقوم عليها " فلسفة"الحوكمة الكونية ، فمن الضرورة بمكان الوقوف على القوى المحركة للمنظومة الدولية و بالتالي العالمية لفهم وإدارة" التعقيد و التشابك" في« منظومة عدم اليقين» ، بفك بعض الشفرات الكونية لإستشراف مستقبل البشرية.

حاولنا في بحثنا هذا اعتماد "مسار فسيفسائي" عابر للمناهج العلمية ، لنجد المنهج الوصفي و التاريخي وحتى التجريبي و التحليلي و كذلك الفلسفي وحتى الإستقرائي والإستنباطي، وخاصتا المنهج الاستشرافي و المنظومي ، علنا نوفق في إيجاد بعض الأجوبة لكثير من الأسئلة التي يطرحها العقل البشري .

كلمات مفتاحية : الجدلية، العلم ، الدين

مقدمة

الجدل كمصطلح فلسفي المقصود به « هو حركة الذهن بين الأفكار» ، و الحديث عن جدلية هو حديث عن محاورة ,تناقض، اختلاف وتقابل يفضي في الأخير إلى تكامل و تكافل واتلاف و إن بدا في الظّاهر اختلاف ، فهي (الجدلية) في نفس الوقت سبب و نتيجة و هي أصل الكون .

أما العلم و الدين بآعتبارهما "صنع" بشري ، فقد برزا على مر العصور على أنّهما القوى المحركة او العناصر الأساسية في الحوكمة الكونية ، لذلك فمن الّضرورة بمكان البحث عن الجدلية القائمة بينهما و خاصتا في العصر الحالي المتسم بالفوضى

المفضية للعشوائيّة والمتأرجح بين مطرقة الصدفة و سندان الضرورة.

(مقالتنا في الصدفة و الضرورة ،أنظر الرسم و الرابط أدناه)



https://www.universalforesight.com/uf-blog/posts/le-systeme-mondial-entre-le-hasard-et-la-necessite/

1- عن الحوكمة الكونية

في الحديث عن الحوكمة إحالة إلى التعقيد والتشابك أو التركيب ، و هي نتاج التفاعل و التناغم الديناميكي بين المكونات أو العناصر المختلفة او المتناقضة (مثل العلم و الدين) التي تخضع لقوانين أو مبادئ ما ، فهي منظومة و آلية تنظيم وحسن ادارة العلاقة بين الفاعل والمفعول به.

الحوكمة هي حسن الإدارة أو التسيير السليم ، وهي حلقة الوصل بين الإدارة والحكمة أو الحكمة في الإدارة أو الإدارة الحكيمة للتعقيد ، فهي الحكم الحكيم .

إن الحوكمة بطبيعتها ’’حاملة لمشروع مستقبلي‘‘ و

« الحوكمة النبيلة» نموذج (انظر الرابط في الصفحة الأخيرة لهذا البحث) .

و بالتالي الحوكمة الكونية هي اسقاط التعريفات سالفة الذكر على المجال الكوني أي العالمي .

2-العلم

بداية تساؤل الإنسان’’العاقل" عن القوى المحركة للكون أو الطّبيعة واكتشافه لها هو بداية الحديث عن العلم ومن ورائه التفكير و البحث العلمي ، و من هذا المنطلق أنطلق الإنسان إلى المرحلة الّتالية ألا وهي إما بالحماية و المحافظة عليها أو تطويع هذه الطّبيعة لصالحه"بتنكّره‘‘ لها عبر استغلالها عن طريق العلم

و ال (Anthropocène)[1] خير مثال ، عملا بالمقولة الديكارتية:

L'homme «maître et possesseur de la nature»

و من ثّمة بدأ الحديث عن مفهوم الحداثة بآعتبارها قيمة حضاريّة (لكن على حساب قيم أخرى) ,وما بعد الحداثة وصولا إلى الحديث على ما بعد الإنسانية (transhumanisme)[2] وحتى ما بعد الحقيقة (Post-truth)[3].

فالعلم أعزك الله مثل الحب «أوله هزل و آخره جد» يبدأ بالشك الناتج عن ''الدهشة'' ليطرح السؤال (أحيانا تكون الأسئلة بديهية أو صبيانية[4] او حتى غبية في نظر الآخر) فيأخذ مسار اسكتشاف و بحث و تنقيب ليصل إلى نتيجة في شكل جواب في قالب حقيقة بها يكون البناء أو حتى الهدم (حسب الأهداف) إلى يوم الناس هذا .

---

[1]« L' ère de l'être humain » ou l'ère géologique lorsqu'un espèce

(Sapiens) a cessé d'être parmis d'autres.

[2] est une idéologie et un mouvement prônant l'usage des sciences et des techniques afin d'améliorer radicalement la condition humaine par l'augmentation des capacités physiques et mentales du corps humain et la suppression du vieillissement et de la mort .

[3]حسب قاموس اكسفورد ، هي : وصف الظروف التي تصبح فيها الحقائق الموضوعية أقل تأثيرا في تشكيل الرأي العام من الشحن العاطفي و المعتقدات الشخصية .

[4] مثل ما حدث مع البر اينشتاين و غيره من العلماء الذين أجابوا في نظرياتهم على أسئلة طرحوها و هم صبية.

فما الشك إلاّ عمليّة او مسار تفكير و بالّتالي العلم هو مخاض العقل البشري أو العقلنة (الحداثة[5]) ، رغم أنه تجاوز (أي العلم) هذه المركزية أو خرج عنها إلى أشياء أخرى (ما بعد الحداثة أو كشف لنقص العقل: كانط وحتى ماركس و غيرهم) .

وان اتّسم العلم بطابعه المادي، الّتجريبي، المنطقي وبالتالي العقلاني(logos) (الحتميةأو السببية: لكل سبب نتيجة، كما ورد عن ريني ديكارت) ، إلاّ أنّه كذلك كما قال غاستون باشلار :

Faire de la science, c’est penser contre >> << son cerveau

إذ يمكن للتجربة سواء كانت مخبريه أو فردية (عبر ما يعرف بتجربة الفكر Expérience de pensée) أن تعطي نتيجة عكس ما يمكن استنتاجه أو تصوره بالرصد أو الملاحظة (observation) ومثال ذلك أن تأخذ في كلتا يديك شيئين أحدهما خفيف الوزن و الآخر ثقيل فتقول أنّ المنطق يقول أنه أثناء تركهما يسقطان معا و في نفس الوقت الشيء الّثقيل يكون أسرع في السقوط من الآخر الخفيف إلاّ أن الحقيقة هي أنهما يسقطان في نفس الوقت معا كما أشار إلى ذلك غاليليو (Galileo) في تجربته الفردية،وكما أثبت مؤخرا الحائز على جائزة نوبل للفيزياء الفرنسي Alain aspect أن جزئية الإلكترون في الذرة يمكن أن تكون في مكانين في نفس الوقت عبر ال

[5] مشروع الحداثة يتمحور حول مركزية و "تأليه" العقل.

(intrication quantique) وهو ما يخالف المنطق و بالتالي أثبت هذا أن العشوائية أو الصدفة[6] (hasard fondamental) موجودة في الكون وهو ما أثبته هذا الفيزيائي عبر فيزياء الكم .

و هذه الأمثلة وان بدت غير منطقية في البدء إلاّ أن التجربة المخبرية أو الفردية أثبتت عكس ذلك

« فالغير منطقي يصبح منطقي في العلم » .

2-1-تكامل،تشابك،تواصل و تكافل العلوم

العلم منظومة داخل منظومة أوسع تسمى المعرفة ، وهو ما يحملنا إلى الحديث عن تكامل،تشابك،تواصل و تكافل العلوم في بحر المعرفة.

فالمنظومة أو النظام هو كل مكون من وحدات متعاضدة تعاضدا تكون بمقتضاه كل وحدة مشدودة إلى وحدات أخرى و لايجوز أن تكون بمعزل في علاقتها بهذه الوحدات رغم اختلافهم ، وبالتالي السعى للرقي و تطوير علم ما في مجال أو إختصاص معين هو بطريقة غير مباشرة سعي لإثراء بقية العلوم و بالتالي المعارف لأن هذه الأخيرة بطبيعتها ''متناسلة'', ''متكافلة''و'' متكاملة'' للوصول لحقيقة ما و لما فيه خير البشرية جمعاء .

[6] المرادف كذلك لمصطلح حظ و مكتوب أو القدر، أي حدوث الأشياء أو الأحداث أو الظواهر بطريقة غير متوقعة و «ولأسباب» غير معروفة أي مجهول .

لذلك وجب على الباحث أن يسعى دوما في مسار التفكير العلمي أن يكون ”عابرا للعلوم “.

3-الدين

بما أننا بصدد دراسة ”لظاهرة من ظواهر الحياة الإنسانية“ ألى وهي الدين ، لن نستغرض التعريفات المتعارف عليها من قبل العلماء و المؤرخين و حتى الباحثين ولو أننا نتعلم منهم ، ولكنني سوف أحاول تجاوز التباين و الإختلاف القائم بينهم في التعريف بهذه الظاهرة نحو زاوية نظر شاملة وعامة أي منظوماتية .

لنقول الدين هو منظومة حية (يتطور بتطور المجتمعات) تشد أطرافها بعضها البعض ، وهو مثل”الخلية“يتغذى من البيئة المحيطة به لذلك هو كذلك منظومة نصف مفتوحة (système[7] semi ouvert) « وجب عليها الآنغلاق لضمان الآنفتاح» أي لديها خصائص تميزها عن غيرها (الإنغلاق) تضمن لها (الإنفتاح) التكامل مع غيرها لضمان التوازن الداخلي(homéostasie) بما أنها آلية ذاتية التنظم (self-organizing) .

فالّدين هو ذلك «الجامع و الرابط» الّروحاني[8] و

---

[7] Types de systèmes : ouvert , fermé, semi ouvert appelée aussi Homéostasie ou intermédiaire (auto-organisation et régulateur , la cellule exemple)

[8] كل ما هُوَ قائِمٌ على إثْباتِ الُّروحِ وَسُمُوِها عَلَى الْمادِيات .ِ

العاطفي[9] وكذلك البشري وحتى السياسي .

فالدين منبعه «المقدس» القائم عن «المعتقد الجمعي» في شيء مادي أو معنوي أو روحاني و ما يتفرع عنه من ممارسات « دنيوية» تترجم إلى سلوكيات في شكل

« طقوس» تاخذ أشكالا مختلفة مثل الصلوات أو انشاد التراتيل أو حتى في تحية الأعلام على وقع الأناشيد الرسمية في الزمن الحالي...الخ .

وكمان قال فراس السواح : « النظام الطقسي، يضع الإنسان في علاقة مع العوالم القدسية التي صاغ المعتقد صورتها الذهنية» .

يأخذ الدين أشكالا متعددة ففيها ما يبدوا :

_ إلاهي أو سماوي عن طريق ''الوحي الإلهي" الذي نزل على نبي أو رسول في ما هو متعارف عليه حسب ما ورد عن المسلّمات أو الآثار التّاريخية المادية المتوارثة مثل الكتب المقّدسة كالقرآن و التوراة و الإنجيل وكذلك الأحاديث و حتى الروايات......) .

فالدين الإسلامي مثلا ينسب إلى النّبي و الرسول محمد و اليهودية إلى موسى أو حتى النّصرانية إلى عيسى ابن مريم ، و هذه الأديان هي امتداد لديانة التّوحيد الإبراهيمية الداعية لعبادة الإله الخالق والأزلي ، وحتى هذا الأخير (الإله) يأخذ في ديانات أخرى

[9] الروحانية تتعلق بالمشاعر الإيجابية اي العاطفة وتشمل مشاعر الحب والأمل والفرح والتسامح والرحمة والثقة .

أعداد متعددة و أشكالا مختلفة مثل الأصنام و حتى وظائف مصيرية مثل الخصب و العطاء و الحب و الحرب و غيرها .

_ ومن الأشكال الأخرى للأديان ما يختزل في فكر مفكر مثل بوذا في الّديانة البوذية في الهند وهي دين بدون إله فهي نظام أخلاقي، ولاوتسي مؤسس التاوية في الصين وكذلك زرادشت في بلاد فارس أو إيران حاليا .

_ ليمتد الّدين حتى إلى جانبه العلمي في شكل نظريات علمية أخذت طابع أيديولوجي لأنها ,, أصبحت عبارة عن مقدسات‘‘ حازت على الإيمان أو المعتقد الجمعي مثل العلمانية و الديمقراطية و الشيوعية و هي الجانب السياسي لفلسفة ماركس الإشتراكية و لنجد كنقيض لهما (أي الشيوعيةو الإشتراكية) الرأسماليّة وهذه الأخيرة الإله المعبود فيها هو المال .

_ و في شكل أو تصور آخر للدين نجد كذلك من يتبنى مبدأ أو قيمة إنسانية كونية كدين مثل« الحرية» كما ورد عن المفكّر محمد الطّالبي في عنوان لأحد كتبه :« ديني هو الحرية » ، وغيره من يعتقدون في الشمس وآخرون عبدة للشيطان .....الخ .

_ ليمتد الدين حتى إلى الأساطير المقدسة من ذلك الشامانية(chamanisme) لدى بعض شعوب القارة الأمريكة ، و هي نظام من المعتقدات وتقنيات التفاعل بين الإنسان وقبيلته من جهة، وعالم أرواح الطبيعة الوسيط من جهة أخرى ، فالشخص الذي يعتبر الشفيع بين البشر والأرواح هو «الشامان»

، و في الميثولوجيا و الأنتروبولوجيا خير شاهد على المعتقدات و الأساطير وبالتالي ديانات الأمم و الشّعوب و « كلود ليفي شتراوس » أبرز من اشتغل في هذه العلوم بل هو من المؤسّسين لها مثله في ذلك « جوزيف كامبلJoseph Campell».

_ وحتى ما يعرف بالإلحاد (عدم الإيمان أو الإعتقاد بوجود إله خالق) هو في حد ذاته دين ، بإعتبار أن معتنقيه يعتقدون و يقدسون المادي المحسوس على حساب الغيبي أو الماورائي، وأبرز هؤلاء بعض العلماء الماديين .

لذلك نقول أن الّدين صنع بشري لأنّه منظومة و آلّية و فلسفة وجودية من ''هندسة الإنسان'' معتمدة في إدارة الشّأن البشري مهما كانت المراجع المستوحى أو المستلهم منها سواء كانت ميتافيزيقية، روحانيّة ، فكرية أو مادية أو غيرها، و مهما كانت مقاصده دنيوية أو ''ما بعد حياتية " أو ما بينهما .

الإيمان القائم على المعتقد هو العمود الفقري للدين ، فهو المحفز أو الدافع لكل حركة أو سلوك يتبناها الإنسان ، و يترجم إما في شكل عبادات أو طقوس أو سلوكّيات ليمتد حتى إلى منهج أو طريقة في التفكير .

يمكن للإيمان كمحرك أن نجده في العلم كما هو موجود في الّدين وهو ما سنخوض فيه في العنوان الموالي (جدلية العلم و الدين).

3-1-تكامل، تواصل وحوار الأديان

مهما اختلفت الأديان شكلا إلا أن مضامينها مشتركة وفي مسار تواصلي ، فالإسلام مثلا هو دين الله على الأرض (كما ورد في

القرآن) هو امتداد لما سبقه من الديانات السماوية لذلك هو في الأصل دين «كوني» أي للناس أجمعين (العالمين)، فعيسى وموسى مسلمين ، فالنصراني واليهودي هو مسلم كذلك وإن كانت ’’ الخطيئة التاريخية‘‘ حصرت الإسلام في حدود العرب من أمة النبي محمد فقط .

فالأديان فيما بينها تشرح بعضها البعض و تسأل بعضها البعض كما تجيب بعضها البعض و بالتالي تتكامل و

تتواصل و تتحاور فيما بينها .

4-جدلّية العلم و الدين

<< La science sans religion est boiteuse, la religion sans science est aveugle >>.

Albert Einstein

« فالعلم هو المصباح الذي ينير دورب الحياة ويخرج الانسان من حصون الجهل والظلام ، ولقد شرف الله العلم وأهله ، وجعل العلماء ورثة الأنبياء ومنارة يهتدى بهم ، وأكرمهم بالسمو والَتمكين ، إذ قال تعالى : " قُل هل يستوي الذين يعلمون والذين

لا يعلمون " . فللعلم قداسة وتعظيم يحظى بها كل من ظفر به »

.

نقلا عن موقع : مدارس أكسفورد

OXFORD SCHOOLS

_ كانت نظرية « كوبرنيكوس» الجديدة في النظام الشمسي ثورة بأتم معنى الكلمة في الفكر البشري و التفكير العلمي بشكل خاص ، و التي من خلالها استهل استقلال العلم عن الدين بعد أن كان أسيرا له ، إلى أن تبع ذلك أفكار غاليلو ثم نيوتن و غيرهم ، وحتى نظرية التطور لداروين التي كانت ثورة ضد الفكر الكنسي .

_ في تركيبة الإنسان المعقدة مزيج من الثنائيات،فتجده إنسان عاقل(Homo sapiens)و مبتكر أوصانع(Homo faber) وفي نفس الوقت متدين(religionis) و أسطوري(mythologicus) ....الخ.

_ يمكن النظر إلى جدلية العلم و الدين من خلال علم الجينوم « الموروث و المكتسب» ، حيث وصل المختصون في علم الجينات الوراثية أو السلوكية و منهم «روبيرت بلومين Robert Plomin» في كتابه :

« المخطط الوراثي ،كيف يجعلنا ال DNAمن نكون»

«Blueprint , How DNA Makes us Who we are»

إلى أن السلوكيات البشرية 50% منها موروثة (اي موجودة في DNA[10]) أما البقية فهي نتاج للبيئة التي ينموا فيها الإنسان و يتأثر بها و بالتالي تصبح سلوكياته في جزء منها (50%) مكتسبة .

و كذلك يمكن النظر إلى جدلية العلم و الدين من زاوية علم النفس وهو ما سوف نتوسع فيه في العنوان الموالي عبر الديانات السماوية كمثال .

1-4-في جدلّية أجزاء الدماغ و مكونات العقل البشري تكمن جدلية العلم و الّدين :

سوف نحاول في هذا الجزء التطرق إلى الجدلية سالفة الذكر من زاوية نظر « علم النفس» و بالتحديد اعتمادا على أحد مؤسسيه وأعمدته « سيقموند فرويد » .
يحوي الدّماغ البشري في نصفيه : الجزء الأيمن المسؤول عن العاطفة ،المشاعر و حتّى الإلهام و الجزء الأيسر المسؤول عن التّفكير،التّحليل،العقلانية و المنطق .
حسب تصنيف سيقموند فرويد للعقل البشري
(Topographical model of mind) الذي يحوي الوعي (consciencus) وهو أن يكون الإنسان واع بتجاربه في نقطة من الزمن وتستعمل فيه الحواس و بالتالي التركيز أثناء التفكير، ثم قبل الوعي (preconsciencus) ويحوي الذكريات،الأحداث و التّجارب ثم اللاّوعي

---

10. الحمض النووي الريبوزي منقوص الأكسجين

(unconsciencus) الذي يحوي المشاعر و العواطف وحتى الرّغبات.

و في تصنيف آخر لفرويد (Structural model of mind) يحوي الوعي داخله الأنا (ego) أي التفكير المنطقي، أّما اللاّوعي فيحوي داخله الأنا العليا (super ego) المسئولة عن المثل،المبادئ والقيم (المأخوذة من المجتمع مثلا) والأخلاقيات في السعي إلى"الكمال" ،كما يحوي اللاوعي كذلك الّهو (ID) المسئول عن (الهوى,الرغبات الشهوات،الغرائز) اي اللاوعي و بالتالي التفكير غير المنطقي .

و في هذا الإطار يجب أن نمر على حدود العقل البشري في ادراك « الحقائق الميتافيزيقيّة مثل الوحي والإله»، فلا يمكنه ادراكها إلا من خلال التفكير فيها و طرح الأسئلة وحتى تصورها أو تخيلها لأنها غير قابلة للتجربة المخبرية ، ولا توجد آثار مادية لهذه المسلمات أو الحقائق الموروثة غير التي تشير إليها الكتب السماوية التي هي في حد ذاتها موضوع بحث كما ورد عن «المختص في تاريخ الأديان الدكتور خزعل الماجدي» .

«أصبح اللاعقل يتحكم في العقل» ، ففي خزان اللاّوعي تدخل ’’المسلّمات" الدينية السماوية مثلا إّما بطريقة لاواعية عبر التوريث مثلا من قبل العائلة أو المجتمع أو حتّى أحيانا عن طريق الّرغبة أو الإعجاب أو الميول حسب ما جاء عن’’ اللّبدو الفرويدي" (عبر الطّاقة الحبية) وإن بدا في الظّاهر فكري(عبر الوعي) إلاّ أنها تدخل إلى العقل الباطن بطريقة لاواعية ، وكذلك يمكن لهذه المسلّمات أن تدخل بطريقة واعية (في حالة الجهل

مثلا) لتستقر في اللاّوعي ، فعند اتخاذ القرارات أو اعتماد منهج في الحياة أو غيرها من السلوكيات مثلا تخرج هذه الأخيرة (المسلّمات) من خزان اللاّوعي لتنفذ إلى الوعي و تكون منبع أو أصل السلوكيات ، لذلك نجد من يتحدث عن دين ما كمنهج للحياة أو حتى توظيف هذا الدين في الّسياسة و بالتالي انبثاق مسميات مثل «الحكم الكنسي أو الإسلام الّسياسي» ، فالعلمانية مثلا انبثقت نتاجا لسيطرة الكنيسة (فصل الدين ممثل للكنيسة عن الدولة) .

أول سورة نزلت في الكتاب المقدس للمسلمين (القرآن) تدعوا إلى العلم و بالتالي المعرفة عبر كلمة «اقرأ» كما يدعوا القرآن في آياته المتعددة إلى إعمال العقل و اعتماد الحكمة عبر كلمات مثل «أفلا يعقلون،أفلا يتدبرون،أفلا يقرؤون...الخ» ، كما نجد الشيء نفسه في إنجيل النّصارى عبر الإشارة إلى شجرة المعرفة .

فئن اختلف الّشكل فالمضمون واحد ، فالعلم هو حلقات مركّبة تفضي إلى نتيجة و بالتالي هو منظومة "دائرية" تترجم في شكل أسئلة ''متناسلة" عبر مسار بحثي ينبع من الّشك للوصول إلى يقين أو حقيقة ما ، و كذلك الدين هو منظومة و صنيعة بشرية ، ففي الأديان الّسماوية مثلا في رحلة البحث عن حقائق '' وان بدت أنها ميتافيزيقية " عبر آلية الشك وهو ما يحيلنا إلى الجزء الأيسر للدماغ البشري المسؤول عن التفكير، التحليل، العقلانية و المنطق ، فكما ورد عن امانوال كانت في كتابه« نقد العقل المحض» :

« العقل يطرح الأسئلة ليجيب عليها ، ويعجز كذلك عن الإجابة عن أسئلة تتجاوز حدوده» وكذلك هو الحال في الميتافيزيقا أو ما يعرف ب«فوق الطبيعي» Supernatural مثلا لأنها غير قابلة للتجربة، فيكفي العقل شرف الشك و بالتّالي
التفكير(الكوجيتو الّديكارتي) لدعم أو تبرير هذه المسلّمات عبر المنهج العلمي الموضوعي و المنطقي كما ورد عن ريني ديكارت في كتابه « حديث الطّريقة » ما سماه الدليل
الأنطولوجي (Preuve) ontologique لوجود الإله هو الوجود عينه .

فالدين من حيث هو علم ، حيث نجد ما يعرف بعلم الأديان (التيولوجيا أو اللاّهوت) و هو ما يعيدنا إلى ما سلف ذكره من اعتماد هذا العلم على المنهج العلمي الموضوعي في البحث .

و كذلك العلم هو دين يعتنقه العلماء طقوسه البحوث العلمية وآعتماده على عمود الإيمان ، سواء كان الإيمان بمبدأ أو فكرة للوصول لحقيقة ما و بالتالي الجانب الروحاني ركيزة أساسية في العلم .

فالإيمان مثلا في الأديان الّسماوية يأخذ غالبا شكل طقوس تقوم على عبادات في شكل صلوات من خلالها يكون التضرع أو المناجات في إطار صلاة لإله مثلا وهو ما يدخلنا في « باب الروحانيات » ، ولكن هذه

الّصلواة أثبت علميا أنها طاقة بشرية تخرج من القلب كعضو يحوي داخله طاقة كهرومغناطيسية هائلة تربط الإنسان بالطّاقة

الكونية ويكون ذلك من خلال الغدة الصنوبرية (Glande pinéal) الموجودة في الدماغ البشري و التي تعمل كلاقط للمجال الطّاقي المحيط بنا مثل الطاقة الكهرومغناطيسية والتي تحلّلها وتنشرها في بقية الجسد من ذلك القلب ، وبالتالي الأحاسيس و المشاعر أو الروحانيات ما هي إلاّ طاقة .

فالروح هي الكينونة أي أصل الأشياء، وروح الإنسان هي الطّاقة ، فاعتمادا على الأبحاث العلمية وبالتحديد فيزياء الكمّ 99% من جسم الإنسان هو طاقة و البقية 1%أو أقل مادة، كذلك أثبتت الأبحاث الجيولوجية و البيئية أنّ 10% من الطّاقة الموجودة على الأرض متأتية من جسم الإنسان .

وفي الحديث عن الإيمان يأخذنا الحديث كذلك عن

« الأخلاق» كمنظومة قيم يتبناها الإنسان وان شاع أّن الدين هو ’’منبتها‘‘ إلاّ أن العكس هو الّصحيح ، فكما جاء عن مقولة لنبي المسلمين محمد لما قال : « بعثت لأتّمم مكارم الأخلاق » ، فمن الأخلاق تستمد الشرائع و

« شريعة حمورابي» مثال ، ولا يمكن الحديث عن علم دون أخلاق أيضا ، وهنا نستحضر مقولة لأب القنبلة الذرية (Oppenheimer) بعد حادثة « 1945 على مدينتي هيروشيما وناجازاكي» لطلبته حين قال :

« لايمكن السعي وراء المعرفة بدون أخلاق » .

وبالتالي و بناء عما سلف ذكره في جدلية العلم و الّدين يمكن استخلاص أنه من الخطأ الفصل بين العلم و الدين فأحدهما للآخر

مثل الروح للجسد، و من الغباء آعتماد أو تفضيل أحدهما عن الآخر.

و إن وجدت مجتمعات عرفت بأنها "مادية" أو رأسماليّة أو حتى علمانية (فصل الدين عن السياسة أو الدولة) و المقصود هنا بالغرب ، فاءن أوغلت هذه المجتمعات في مسارها إلاّ أّنها بدت تستوعب بعد قرون من المادّية المجحفة أهمية الجانب الروحاني أو العاطفي وأصبحت تعتمدها إمّا في الحياة الخاصة أو في تسيير الشؤون العامّة أو حتى في الّتدريس والتكوين في شكل نظريات أو آليات مثل آلية« الحوكمة الرّشيدة (La bonne gouvernance)» أو« الذكاء العاطفي (L’intelligence émotionnelle) » أو غيرها ، ولكن للأسف مجتمعات أخرى لم تستوعب تخلّفها العلمي وأوغلت في العاطفة و الروحانيات فتاهت فيها و توهتها هذه الأخيرة عن جهل وركنت إلى ’’القدرية " و الكسل والتعويل عن الغرب واستيراد ما ينتجه من علوم و معارف بما في ذلك الآليات سالفة الذكر، و « الإرتهان للنقل على حساب العقل» ، و المقصود هنا ما يعرف بالعالم الثالث وبالأخص المجتمعات العربية والإسلامية .

2-4-التوظيف المتبادل

- توظيف الدين في العلم :

يعتبر « العقل العربي أسيرا داخل زنزانة التراث و الفكر الديني القديم » في مقولة لنصر حامد أبو زيد، كذلك أشار أحمد عصيد في محاضرته عن « أسباب تخلّف العرب » و حتى محمد عابد

الجابري و محمد أركون بعبارة أو مصطلح «الجهل المؤسس» وغيرهم كثر.
حيث يسعى الإنسان العربي إلى بسط غطاء ديني على أغلب ماهو علمي إن كان اكتشافات أو حتى اختراعات أو ظواهر طبيعية و آجتماعية وربطها بالقدرة الإلهية و الآخرة و القضاء و القدر و غيرها من المبررات أو بالأحرى مسلمات ، والغريب أنه يسعى من وراء هذه المبررات إلى إبراز امتلاكه للحقيقة المطلقة و بالتالي التعالي على الآخر الذي يصفه '' بالكافر" ، ومن خلال هذا التمشي يسعى إلى توظيف الدين في علم الّسياسة و المجتمع وحتى في حياته الخاصة بآعتباره "خليفة الله في الأرض " ، فلا يدرك أن الحاكمية بآسم الإله إلاّ «ضرب من الجهل والّنفاق المقنع ».
وهذه الخصائص ليست للعرب فحسب لنجد مثلا أوليفييه روا (Olivier Roy) وهو عالم سياسة فرنسي الذي يتحدث كذلك عن المسيحية كما في الإسلام ، في كتابه الذي خصصه للظاهرة الدينية بلا ثقافة، وكان عنوانه:

« الجهل المقدس أو زمن الديانة بلا ثقافة»

La Sainte ignorance ou le temps de la religion sans culture

و الذي حلل فيه كيف تنتج البشرية سلسلة من المعارف الإنسانية، التي هي بشرية، وتلصقها بالنص المقدس فتصبح امتداداً للدين .

_ أصبح الجانب الروحاني يعتمد كوسيلة علمية لتجد مثلا ما يعرف الذكاء الروحي (Spiritual intelligence) إلى جانب الذكاء العاطفي(Intelligence émotionnelle) ،كوسيلة للنهوض و الرقي بالذات البشرية لدى ما يعرف بمدرب الحياة (life coach) ، حتى انه هنالك رجوع إلى طقوس الشعوب القديمة مثل آلية shamanismوهي عبارة عن دين لدى شعوبها وأداة ''للتنمية البشرية'' لدى شعوب أخرى .

كما يمكن أن نجد الّدين كأحد المستويات المعتمدة في الدبلوماسية أو في ما يعرف ب «الّدبلوماسية متعددة المستويات» الآلية التي يتخذها الغرب في تعاطيهم مع ديناميكية النظام الّدولي في إطار السياسات وحتى العلاقات الدولّية ، فسلطة البابا مثلا تتجاوز حدود الفاتيكان إلى كامل المعمورة .

بالإضافة إلى اعتماد الدين كمعطى و مرجع علمي سواء في استنباط القيم و المبادئ الكونية أو في إيجاد طرق و أساليب لتسيير وإدارة الشأن البشري إلى جانب استعمالات علمية أخرى كأن نجد مثلا عبارة « IN GOD WE TRUST » على الدولار الأمريكي كتوظيف للدين في الإقتصاد .

- توظيف العلم في الدين :

في تقرير لبرنامج الأمم المتّحدة الإنمائي (PNUD) لسنة 2022 بعنوان «Temps incertain» يورد فيه أن ّ« التكنولوجيا سلاح ذو حدين » ، فكما أشرنا سالفا إلى أشكال الّدين (العنوان 3) التي من بينها الرأسمالية التي اعتمدت العلم في "شخص" التكنولوجيا للنهوض بالإنسان ولكن كذلك على حساب هذا الإنسان وعلى الطّبيعة بشكل عاّم مما خلّف

الكوارث البشرية و الطّبيعية جراء الحروب و الأوبئة في ''زمن عدم اليقين'' ، حيث أصبح العلم سلاحا لما تسميه الصحافية الكندية Naomi Klein « رأسمالية الكوارث[11]» .

نجد عند العرب ما يعرف ب «الإعجاز العلمي في القرآن» وهو لعمري إحدى الآليات المعتمدة لترسيخ عقلية الكسل الفكري المترسخة منذ الجبرية أو القدرية، فالقرآن ليس بكتاب علوم ولكنه في دعوات متتالية يدعوا إليها ، ولكن و للأسف لم يعي العرب لب هذا الكتاب المقدس و اكتفوا بالقشور ، وكما ورد في إحدى آياته : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » . أصبحت بعض المصطلحات العلمية توظف كأسلحة في نشر العنصرية ضد بعض الشعوب المنتمية لدين ما مثل مصطلح « الإسلاموفوبيا » الموظّف ضد الشعوب المسلمة .

من جانب آخر تسعى الدول المتقدمة إلى استقطاب شعوب الّدول المتخلّفة و النامية في صلب أديانها (الديمقراطية الليبرالية أو الّرأسمالية مثلا) بطريقة غير مباشرة عبر ما تنتجه من علوم و تكنولوجيا و بالتالي فرض سيطرتها الإقتصادية والثقافية (فرانسيس فوكوياما : نهاية التّاريخ و الإنسان الأخير)و من ثّمة الهيمنة عليها ، و كما قال ابن خلدون : « المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه و نحلته و سائر أحواله و عوائده»، أو بطريقة مباشرة عبر مبشريها أو حتى غزوها و احتلالها مما يحيلنا إلى كتاب «صراع الحضارات»[12]

---

[11] La Stratégie du choc << La Montée d’un capitalisme du désastre >>

[12] Clash of civilisations ., Le Choc des civilisations

لصاموئيل هنتنقتون.

كذلك تعتمد التكنولوجيا الحديثة في الحفريات الجيولوجية لإكتشاف ”سرديات أو روايات دينية “مثل إقتفاء أثر الفرعون الغارف اثر انشقاق البحر للنبي موسى وقومه من اليهود ، وحتى ثورة الجينوم التي”كسرت“ بعض قواعد مسلمات « الخليقة البشرية» و بقية الكائنات الحية بصفة عامة .

- السياسة كموظف للعلم و الدين

يقول أندريه مارلو، وزير الثقافة الفرنسى الأسبق : القرن الحادى والعشرون هو «قرن الأديان بامتياز».

يتقاطع العلم و الدين في” لاقورا **L’Agora** “[13] السياسة، وخاصتا وان ركزنا اهتمامنا في هذا البحث على الحوكمة الكونية وبالتالي في مجالي السياسات و العلاقات الدولية والمسارات التي توخاها مسار النظام العالمي عبر الأطراف الفاعلة و خاصتا المؤثرة فيه عبر ”إستدعاء القطبية“ للسيطرة و الهيمنة ، و بالتالي العلم و الدين هما من “ المحركاة الأساسية للمنظومة الكونية“ .

يكفي أن نذكر بعض الأمثلة التي تلخص هذا التوظيف :

[13] L’ Agora antique d’Athènes était située sous le versant nord de l’ Acropole . L’Agora antique était le principal lieu de rencontre des Athéniens, où les membres de la démocratie se rassemblaient pour les affaires de l’État, où les affaires étaient menées, un endroit pour se détendre, regarder des artistes et écouter des philosophes célèbres .

- فالصراع الفلسطيني الإسرائيلي مثلا هو في الأصل مستند لمراجع دينية ولكن بأدوات علمية .

- **مشروع مانهاتن بقيادة أوبنهايمر لإنتاج القنبلة النووية وإسقاط القنبلتين النوويتين على المدينتين اليابانيتين هيروشيما فى 6 أغسطس 1945 وعلى ناجازاكى فى 9 أغسطس 1945 ما أدى إلى انسحاب اليابان من الحرب، فكل هذا هو توظيف للعلم في خدمة أجندات السياسة .**

- **توظف بعض مراكز البحث الدولية و التي منها من هي من الأطراف الفاعلة في المنظومة الكونيةو منها المهتمة ببناء السلام مثل معهد الولايات المتحدة للسلام (United States institute of Peace) الذي يعتمد الدين في البرامج أو المناهج التدريبية كوسيلة أو آلية لبناء السلام (Peacebuilding) وحتى المصالحة(Réconciliation) .**

- **معهد الإقتصاد و السلام (IEP)،و الذي يوظف الدين في منظومته الداعية للسلام ، بل أكثر من ذلك أثبت هذا المعهد خلال دراسة أجراها (GPI:Global Peace Index) أنه لايوجد علاقة او رابط بين الدول الأكثر تدينا و ظاهرة العنف ، وانه ما يروج من وسائل الإعلام بربط التدين بالعنف هو خطأ لا أساس له من الصحة .**

وحتى داخليا ،بعض« الدول» تحكم سيطرتها على المؤسسات «الدينية» ضمن أطر «علمية» عبر الدساتير مثلا في إطار ما

يعرف « بالدولة المدنية» كما تعتمد دول أخرى الدين كمرجع أساسي في إدارة الشأن العام ، بل أكثر من ذلك دول حكامها هم في نفس الوقت مراجع دينية كمرشد أو الحكم عبر ولاية الفقيه كمرجع ديني، بينما صنف آخر من الدول حسم مسألة الدين لصالح الدولة عبر الفصل بينهما ضمن نظام علماني ''لائيكيLaïc'' .

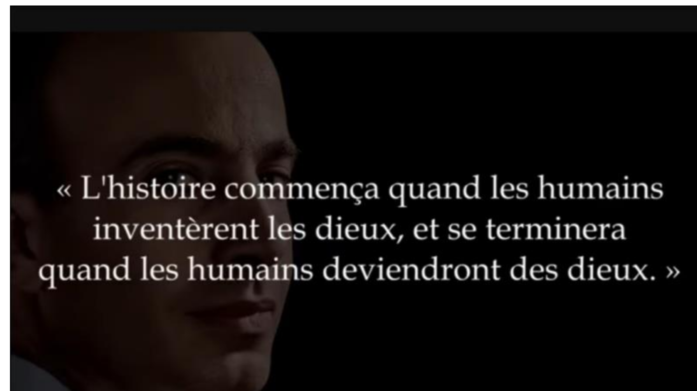
بل حتى من الرؤساء من يستند إلى الكتاب المقدس لتبرير مشاريعه أو حتى ''للحلفان'' ، مثل الرؤساء الأمريكان و «دونالد ترامب» مثال .

وفي تقاطع العلم و الدين في السياسة ، تشابك و ترابط و تعقيد بين هذه المنظومات (العلم و الدين) في منظومة أوسع تسمى النظام العالمي ، وما السياسة إلا ''كيمياء'' تمتزج و تتحلل فيها المكونات أو العناصر ليذوب الإختلاف في محلول الإئتلاف .

5-فصل المقال

العلم و الدين هما محركات أساسية في تاريخ بل في مصير الإنسانية ، فرغم اختلافهما مصيرهما أن يتكاملا وأن يتقاطعا في ما سماه ادغار موران« Le Principe Dialogique » سواء في التعقيد البشري بما في ذلك الموروث و المكتسب و حتى في الدماغ البشري أي في محركه العقل (الجزء الأيمن و الأيسر، الوعي و اللاّوعي) ليمتد هذا التقاطع إلى المنظومة الكونية سواء في حالات الّسلم أو الحرب .

و مع التقدم التكنولوجي الذي''فقدت البشرية الّسيطرة عليه" خاّصتا مع ثورة الذكاء الآصطناعي تضاف إليه ثورة الجينوم التي أثارت "زوبعة" في الأوساط الدينية، مما أدى إلى انتشار فكرة ما بعد الإنسان (le transhumanisme) أو الإنسان المتعالي (l'Homme Augmente) مما يحيلنا إلى استنتاج أن العلم يمكن له أن ينتج الدين و العكس صحيح، لتستفزني في هذا الّصدد مقولة للمؤرخ Ivan Noah Harari في كتابه « العاقل Sapiens » حين قال :



بيوغرافيا موجزة للكاتب

د.محمد بشير الجويني

- عالم مستقبليات

- خبير دولي معتمد في السياسات العمومية، الحوكمة،الإستراتيجيا و الاستشراف



https://knowledge4policy.ec.europa.eu/profile/jouini-mohamed-bechir-2692_en

- سفير السلام



-مهندس نظرية ومقاربة الحوكمة النّبيلة



https://www.universalforesight.com/uf-methods-bank/11391